(٢) ١١ سبتمبر صناعة أمريكية:

جور ڤيـــــدال

يعد جور ڤيدال من كبار نقاد الأدب الأمريكى الذين أثروا النقد الأمريكى بدراسات رفيعة المستوى وكتب ومراجع سواء للدارسين والمحترفين أو لطلبة الجامعات، لكن يبدو أن للكتابة السياسية سحرًا خاصًا لا يقاوم، فخاض فى غمارها بقوة الثائر القدير ضد التيار، فأثار من الأمواج المتلاطمة ما جعل اسمه فى مقدمة المفكريـــن والكتـاب السـياسيين الباحثين عن الحقائق، مهما كانت مرة وقاسية، وربـما لا تخطر ببال أصحاب التفكير التقليدى، الذين يتركون عقولهم نهبًا لكل ما تبثه أجهزة الإعلام المأجور من أكاذيب ملفقة لإنقاذ ماء وجه السلطة. ولم يهتم كثيرًا بالعودة إلى النقد الأدبى بعد أن أدرك أنه يكاد يكون رفاهية فكرية فى مجتمع مضلل وتائه وفى أشد الحاجة إلى النقد السياسى الذى يسرى كالنار فى الهشيم بين طبقات المجتمع وطياته من البشر العاديين، وليس كالنقد الأدبى الذى يقتصر على الخاصة من المثقفين وذواقة الأدب. وهذا ما فعله أيضًا ناعوم تشومسكى أحد أعظم علماء اللغويات الإنجليزية فى القرن العشرين، والذى ألف من الكتب ما يعتبر من أمهات المراجع لدارسى اللغة الإنجليزية فى شتى أنحاء العالم، لكنه هجر هذا الاتجاه ببساطة شديدة ليخوض فى بحار الكتابة السياسية، وينطلق فى سباحة عاتية ضد التيار السائد بثورية، لم يكن أحد يتصورها فى أستاذ أكاديمى غاص من قبل فى بحار الدراسات اللغوية ليكتشف أخطر النظريات الحديثة فيها. ويبدوأن بذرة النقد السياسى عند تشومسكى كانت كامنة فى نقده الرائد للنظريات اللغوية التى سبقته، وظلت محافظة إلى حد كبير على التقاليد الكلاسيكية القديمة فى مجالات النحو والصرف والبلاغة، وكانت نظريات تشومسكى اللغوية انقلابًا ثوريًا عليها،وهو الانقلاب الثورى الذى ميز كتاباته السياسية فى مرحلة تالية.

وينطبق هذا المنظور الثورى على جور ڤيدال لأن بذرة النقد السياسى عنده كانت كامنة فى نقده الأدبى المنهجى، وهو المنهج نفسه الذى سرى فى أعماله الإبداعية كروائى وكاتب مسرحى وشاعر، إذ إنها ركزت على الرؤية النقدية لسلبيات المجتمع والعصر لدرجة أنه لم يجد اختلافاً كبيرًا بين قلم الأديب ومشرط الجراح. وكان أول مضمون فرض نفسه على إبداعاته، تجاربه التى خاضها فى الحرب العالمية الثانية، عندما كان مجندًا فى مجموعة من جزر شبه جزيرة ألاسكا، والتى سجلها بأسلوب

روائى شائق وساخر فى أول كتاب صدر له بعنوان «رياح الثلوج الجبلية» عام ١٩٤٦، ثم توالت بعد ذلك رواياته فى إنتاج غزير ومتتابع مثل رواية «فى غابة صفراء» (١٩٤٧)، و«المدينة والعمود» (١٩٤٨) ، و«موسم الراحة» (١٩٤٩)، و«بحث عن الملك» (١٩٥٠)، و«اخضر غامق، أحمر فاتح» (١٩٥٠)، و«محاكمة باريس» (١٩٥٢)، و«المسيا» (١٩٥٤). كما كتب روايات بوليسية زاخرة بالغموض والإثارة، وأثارت ضجة مثل تلك التى أحدثتها رواية «المدينة والعمود» رغم الإدانة الفكرية القاسية لتصويرها التفصيلي للشذوذ الجنسى بين الرجال،وكذلك قصته «الفتاة ايرلنيدا والسيد كوفين» فى مجموعة «شر عطشان وقصص أخرى» (١٩٥٦).

ومارس فيدال كتابة كل الأنواع الأدبية، فأبدع أشعارًا زاخرة بالتأمل العميق والفكر الثاقب الذى يمس الحياة الإنسانية فى صميمها. كما ألف مجموعة من المسرحيات سواء للعرض على خشبة المسرح أو على شاشة التليفزيون،نشرت عام (١٩٥٦) فى مجلد بعنوان «زيارة إلى كوكب صغير ومسرحيات أخرى للتليفزيون». وقد تمت إعادة صياغة لمسرحية «زيارة إلى كوكب صغير» فأصبحت عرضًا مسرحيًا من ثلاثة فصول حقق نجاحًا ضخمًا على مسارح برودواى فى عام ١٩٥٧. كذلك حققت مسرحية «الإشبين» نجاحًا مماثلاً فى برودواي عام ١٩٦٠، ويبدو أن مضمونها السياسى الساخن والمثير، كان الباب الواسع الذى دخل منه فيدال إلى عالم السياسة، وخاصة أنه كان حفيد سناتور أوكلاهوما الشهير توماس جور، فخاض الانتخابات التشريعية عن ولاية نيوريورك عام ١٩٦١ لكنه لم يفز بالمنصب، ليدرك أن الكتابة السياسية أعمق وأطول أثرًا من الممارسة السياسية المرتهنة بفترة زمنية محدودة، وطالما أن الله قد منحه موهبة الكتابة فى أنواع متعددة من التعبيرالفكرى والفنى، ففى إمكانه أن يتفوق على أقرانه من الكتاب السياسيين المحترفين الذين لا يملكون حيل الإبداع الأدبى والفنى من سخرية وتلميح وإيقاع وتهكم وفكاهة وبلاغة وانفعال وإثارة وتجريب... إلخ.

من هنا كانت قدرة فيدال على الوصول إلى أكبر قطاعات ممكنة من القراء، سواء داخل الولايات المتحدة أو خارجها. وبالطبع لا يتسع المقام لمجرد الإحاطة بكتب فيدال التى زادت على الخمسين، لكن ما يهم هو أحد كتبه الذى أثار ضجة مستمدة من حجم الضجة التى أثارتها أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، والتى كانت مضمون الكتاب، الذى قدمها من منظور لابد أن يصيب من يقرأه بالذهول لأنه ينطوى على أدلة وإثباتات وقرائن لا يمكن تكذيبها أو حتى التهوين من شأنها. وقد صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٢، بعنوان: «الحلم بالحرب: الدم فى مقابل البترول

وعصبة تشيني – بوش». وإذا كان فيدال قد اشتهر بالكتب المثيرة للجدل على أوسع نطاق؛ لأنه لا يرضى إلا بالرؤى الجديدة والانطلاقات الثورية التى ضمنها فى كتابه الشهير «هبوط وسقوط الإمبراطورية الأمريكية»، لكن ضجة كتاب «الحلم بالحرب» كانت أشد وطأة؛ لأنه تحدى أبواق الإعلام المأجور كلها عندما أضاء الجانب المظلم من أحداث الحادى عشر من سبتمبر، كشهادة كان عليه أن يقدمها للتاريخ.

كان فيدال قلقًا للغاية من أنه قد لا يأتى أبدًا اليوم، الذى يعرف فيه العالم ماذا حدث بالضبط فى الحادى عشر من سبتمبر، لأن الآلة الإعلامية الجهنمية لم تدع مجالاً للكثيرين أن يفكروا بشكل مستقل، محاولين تصفيف القطع المتناثرة للغز بجوار بعضها البعض. صحيح أن البعض حاول، لكن الكثير أخافتهم رياح المكارثية المسمومة، بل والأكثر، بحكم الطبيعة والعادة، قنعوا بما يتم ترويجه، بعد أن تم تعليبه بمهارة وحرفية وإتقان. وكان فيدال فى مقدمة الذين حاولوا، وكان ذلك طبيعيًا بحكم تاريخه ومكانته، وهو يرصد التحولات التى طرأت على الولايات المتحدة، القوة الغربية المنتصرة، وقد تبنت عقيدة تواصل بمقتضاها السعى لاجتثاث أى عامل، يمكن فى يوم من الأيام أن يمثل تهديدًا، أو أن يسمح بنهوض تهديد قديم، فى حين وجد العالم كله نفسه فجأة فى وضع دولى غير مألوف من قبل، ربما منذ عصر الإمبراطورية الرومانية، وصارت اسماء صامويل هانتنجتون وفرانسيس فوكوياما وغيرهما من مفلسفى الانتصار العظيم أسماء لامعة، ومعهم علماء وأكاديميون من«الصقور» من أمثال إدوارد تيلر صاحب فكرة الحرب النووية المحددة، وميلتون فريدمان «أبو الاقتصاد الحر أو اقتصاد السوق»، ومن سار على نهجهم، صاروا مصدر الإيحاء ورواد المستقبل. وفى أثناء رصد فيدال لكل هذه التحولات التى رآها فى معظمها زاخرة بالغطرسة الإمبريالية والطيش المبهور بأحلام الهيمنة المسعورة، كان أحد أوائل من نبه إلى أن إلحاق الهزيمة بالاتحاد السوفيتى وتدميره لن يجلبا السلام إلى العالم لأن طبيعة القوة المنتصرة تحتاج إلى عدو يبرر استثمارها فى أسباب القوة، وإذا لم يجد هذا العدو موجودًا سيوجدونه. وبومذاك حدد فيدال الأعداء المحتملين بالإسلام، غير غافل عن القوتين الأكبر فى الشرق الأقصى، والبؤر الحساسة، كمصادر البترول فى الشرق الأوسط، والمياه الدافئة على تخوم روسيا، وكل ما يمكن أن يمثل منطلقات قد تكون مناوئة للنظام الجديد.

ولم يكن فيدال مجرد راصد أومحلل للأحداث الراهنة،بل كان مؤرخًا تخصص فى تاريخ الطبقة السياسية التى أنشأت الولايات المتحدة وحكمتها وأدارت شئونها، وذلك فى دراسات نشرها، وكانت من الدقة بحيث حسده عليها المؤرخون

المحترفون. واعتاد أن يصدم المؤسسة الأمريكية بتصريحاته المثيرة للجدل، مثل إصراره على اتهام الحكومة الأمريكية ووسائل الإعلام بتضليل الرأى العام، معتبرًا أن: «أمريكا تضم ربع مليار نسمة مضللين تماما ومغيبين من جانب حكومتهم». كما انتقد الرئيس بوش، قائلاً إنه يريد أن تستمر الحرب ضد الإرهاب إلى الأبد، وأشار بصراحة إلى أن بعض الأمريكيين يشعر بالسعادة لأن هجمات الحادى عشر من سبتمبر، حددت المسلمين على أنهم الأعداء الجدد، رغم أنه لا يوجد من يمتلك معلومات يقينية أو محددة عمن ضرب الولايات المتحدة فى ذلك الثلاثاء المحزن، ولا الغرض الحقيقى لما جرى. لكن فيدال يتفق مع كثير من المعنيين بالشئون المدنية الأمريكية أن ٩/١١ لم يصب بالضرر الحقوق الهشة فى الدستور الأمريكى فحسب، بل أصاب نظام الحكم الذى تلقى ضربة قاضية فى العام السابق على ٩/١١، عندما تدخلت المحكمة العليا وتلاعبت بالأسس التشريعية، وأقامت مكان رئيس الجمهورية المنتخب بحرية، عصبة «تشيني – بوش» من رجال البترول والغاز.

ويتجلى أسلوب فيدال الساخر المرير، عندما يصف كيف كان كل هذا يجرى على مرأى ومسمع من العالم أجمع وليس الولايات المتحدة وحدها، فى حين كانت الحكومة الأمريكية تزداد كل يوم ابتعادًا عن الخضوع للمساءلة، وهى تتبع سياسات مختلفة فى شتى أنحاء العالم، دون أن «نعرف عنها شيئًا نحن حملة الرماح والذين كان يطلق علينا فى الماضى اسم الشعب» على حد قول فيدال. ومع ذلك فقد تلقى الأمريكيون خلال تلك السنة بعض الإجابات عن السؤال المهم:

«لماذا لم يحذرنا أحد مقدمًا بما سيقع فى ٩/١١؟ غير أنه يبدو أن هناك من قام بتحذيرنا بالفعل .. فى وقت مبكر من السنة، قال لنا البعض إنه سيكون ثمة زائرون غير مرغوب فيهم فى سماواتنا فى وقت ما من سبتمبر ٢٠٠١، ولكن الحكومة لم تبلغنا بذلك، ولم تقم بحمايتنا. وعلى الرغم من التحذيرات التى تلقيناها فى أول مايو من الرئيس بوتين ومن الرئيس مبارك، ومن الموساد حتى من عناصر من مكتب المباحث الفيدرالى الأمريكى FBI. وقد جاء فى تقرير صادر عن الاجتماع المشترك للجنتى المخابرات فى الكونجرس (١٩ سبتمبر ٢٠٠٢، صحيفة نيويورك تايمز)، أنه منذ وقت مبكر يرجع إلى ١٩٩٦، اعترف الإرهابى الباكستانى عبد الحكيم مراد لعملاء فيدراليين بأنه كان يتعلم الطيران حتى يصدم بطائرته مبنى وكالة المخابرات المركزية CIA».

ويواصل فيدال دراسته الزاخرة بالسخرية، التى قد لا يلتقط القارئ العادى المعانى والدلالات الحقيقة المقصودة منها، فيفهم عكس ما يريده الكاتب، ومن هنا

كانت ضرورة الحرص فى استيعاب السخرية المريرة، التى لم يجد فيدال أسلوبًا أفضل منها فى التعبير عن مدى بشاعة مأساة ١١/ ٩، فهو يسخرمن جورج تينيت مدير وكالة المخابرات المركزية بصفته أنه الوحيد الذى أخذ تلك التحذيرات مأخذ الجد، فقد كتب فى ديسمبر ١٩٩٨ إلى مساعديه يقول: «إننا فى حالة حرب مع أسامة بن لادن». لكن سخرية فيدال تبلغ قمتها، عندما يعلق بقوله إن اهتمام وكالة المخابرات بهذا التحذير بلغ حد أنه بحلول يوم ٢٠ سبتمبر ٢٠٠١ لم يكن لدى وكالة المخابرات غير باحث واحد مكلف، طول الوقت، بتتبع تنظيم القاعدة. وفى تقرير مقدم إلى الرئيس بوش فى مطلع شهر يوليو ٢٠٠١، قال مدير وكالة المخابرات:

«أعتقد أن أ.ب. ل (أسامة بن لادن) سيشن هجومًا إرهابيًا كبيرًا على مصالح الولايات المتحدة وإسرائيل أو كلتيهما خلال الأسابيع المقبلة. وسيكون الهجوم لافتًا للأنظار، ويهدف إلى إحداث خسائر جسيمة بالمرافق أو المصالح الأمريكية. وقد تمت الاستعدادات للهجوم، وسيقع الهجوم دون إنذار».

وهذا ما حدث بالفعل ، ومع ذلك فإن كوندليزا رايس مستشار الأمن القومى فى ذلك الوقت، قالت بمنتهى البساطة إنها لم تتوقع فى أى وقت أن هذا يعنى شيئًا آخر أكثر من اختطاف طائرات. ونفس الخيبة برزت فى مؤتمر نشرته أكاديمية القوات الجوية الأمريكية فى مارس ٢٠٠١، أى قبل أحداث سبتمبر بستة شهور، قال فيه بروس هوفمان نائب رئيس مؤسسة «راند للأبحاث» أمام جمهور من الضباط:

«إننا نحاول أن نعد أنفسنا ضد منظمة القاعدة، أو ربما الحركة المرتبطة بأسامة بن لادن. فكروا لحظة فيما كان عليه الأمر فى الإعتداء بالقنابل الذى تم على مركز التجارة العالمى عام ١٩٩٣، وضعوا فى اعتباركم أنه من الممكن إسقاط البرج الشمالى والبرج الجنوبى وقالت ٦٠٠٠ شخص . ولن يعدموا أية وسائل، فسيجدون أسلحة أخرى وتكتيكات أخرى ومن بينها الطائرات دون طيارين».

قال هوفمان كل ذلك قبلها بستة أشهر، لكنه فى جلسة استماع مجلس النواب بعد ١١ سبتمبر، قال: «إن اعتداءات بهذا الحجم غير قابلة للتصور».. هذا هو الرأى النهائى لنائب أهم مركز خاص للأبحاث الاستراتيجية والعسكرية فى العالم، والذى تبلغ ميزانيته ١٦٠ مليون دولار. قبل الأحداث بستة أشهر، استطاع أن يقدم تصورًا لما جرى بعد ذلك مشهدًا مشهدًا، وبعد الأحداث قال بمنتهى البساطة إن ما جرى غير قابل للتصور!!

وتكاد تكون معظم كتابات فيدال وثائق اتهام للحكومة الأمريكية بالكذب على الشعب وخداعه والتغرير به فى متاهات جانبية وحلقات مفرغة وأنفاق مظلمة لابد

أن تصيبه بغيبوبة قد لا يخرج منها بسهولة. ولذلك يعتبر أن أفضل التقارير وأكثرها توازنًا عن الكيفية التى وقع بها الهجوم على الولايات المتحدة فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والأسباب التى أدت إليه، هو التقرير الذى قدمه نفيس أحمد،ذلك أن كثيرًا ما يعرف غير الأمريكيين أشياء ومعلومات عن الولايات المتحدة لا يعرفها الأمريكيون أنفسهم مهما كانوا واعين ومثقفين، وخاصة بشأن الخطوات التى هم مقدمون عليها. ولذلك يعتبره فيدال مرجعًا موثوقًا به فى هذا الشأن، وخاصة أنه يعمل مديرًا تنفيذيًا لمعهد أبحاث السياسات والتنمية، المتخصص فى الدفاع عن حقوق الإنسان والعدالة والسلام، يقول فيدال:

«يقدم نفيس أحمد فى تقريره معلومات أساسية عن حربنا الدائرة ضد أفغانستان، ووجهة نظره لا تتفق بأى حال مما قالته لنا حكومتنا. وقد اعتمد المؤلف على مصادر متعددة، من أهمها الأمريكيون الذين حذروا مبكرًا، والذين نبهوا رؤساءهم إلى أن «القاعدة» تعد لضربة من طراز الكاميكازى اليابانى ضد نيويورك وواشنطن، غير أنه قيل لهم أنهم إذا أعلنوا شيئًا من ذلك سوف يتعرضون لتطبيق «قانون الأمن الوطنى» عليهم. وقد عهد كثير منهم إلى ديفيد شيبرز كبير مستشارى التحقيقات لدى اللجنة القضائية بمجلس النواب ليمثلهم أمام المحاكم. وكان شيبرز الرائع قد أدار عملية المحاكمة الناجحة التى عقدت للرئيس كلينتون فى مجلس النواب. وقد يطلب منه، إذا فشلت الحرب ضد العراق، أن يقدم الخدمة نفسها لبوش، الذى ترك الشعب الأمريكى دون تنبيه أو إنذار بشأن الهجوم الوشيك على اثنتين من مدننا الكبرى ليكون شفيعًا لضربة عسكرية مبيتة من جانب الولايات المتحدة ضد طالبان».

وتتوالى الأدلة والشواهد فتنشر صحيفة «الجارديان» البريطانية فى ٢٦ سبتمبر ٢٠٠١، أنه حدث فى يوليو ٢٠٠١ أن التقت مجموعة من الأطراف المعنية فى أحد فنادق برلين؛ لتستمع إلى موظف سابق بوزارة الخارجية الأمريكية، هولى كولدرين، وهو ينقل رسالة من إدارة بوش تفيد بأن الولايات المتحدة قد ضاقت بطالبان لدرجة أنها قد تنظر فى اتخاذ إجراء عسكرى. وكان الأمر المخيف فى هذا الإنذار السرى أنه جاء – طبقًا لما قاله أحد الحاضرين، وهو الدبلوماسى الباكستان نياز نايق – مصحوبًا بتفاصيل محددة بشأن الكيفية التى ستنصرف بها إدارة بوش. وكانت صحيفة «الجارديان» قد نشرت قبل ذلك بأربعة أيام أن أسامة بن لادن والطالبان تلقوا تهديدًا بوقوع عمل عسكرى أمريكى عندهم قبل شهرين من وقوع الهجمات على نيويورك وواشنطن. وذلك يثير الاحتمال بأن بن لادن قد قام بضربة استباقية ردًا على ما رأى

فيه تهديدات أمريكية. ولذلك يتساءل فيدال بنبرة مأسوية: «هل كان ذلك تكرارًا لـ «يوم العار» فى المحيط الهادئ قبل ٦٢ عامًا؟» يقصد مأساة بيرل هاربر بطبيعة الحال.

ويروى فيدال حلقات المأساة الجديدة، فيقول إنه فى ٩ سبتمبر ٢٠٠١، قدم إلى بوش مشروع توجيه رئاسى بشأن الأمن القومى، يتضمن الخطوط الرئيسية لحملة عالمية لتحرك عسكرى ودبلوماسى ومخابراتى يستهدف منظمة القاعدة، يدعمه إنذار بالحرب. وتقول شبكة NBC الأمريكية:

«كان المنتظر أن يوقع الرئيس بوش خططًا تفصيلية لحرب على القاعدة فى كل أنحاء العالم، ولكنه لم يجد الفرصة لذلك قبل وقوع الهجمات الإرهابية. وكان الأمر الرئاسى فى جوهره هو خطة الحرب نفسها التى وضعت موضع التنفيذ بعد ١١ سبتمبر. والأرجح أن الحكومة تمكنت من الرد السريع؛ لأنه لم يكن عليها سوى أن تسترد الخطط من«على الرف».

وفى ١٨ سبمتبر، ذكرت شبكة B.B.C البريطانية أن «مسئولين أمريكين كبارًا ذكروا لنياز نايق، وزير خارجية باكستان الأسبق، فى منتصف يوليو أن التحرك العسكرى ضد أفغانستان سيقع فى منتصف أكتوبر. وكان من رأى نايق أن واشنطن لن تتخلى عن حربها ضد أفغانستان، حتى لو قامت طالبان على الفور بتسليم بن لادن. ولذلك يتساءل فيدال:

«هل يمكن أن يقال إن افغانستان تحولت إلى تراب ودمار انتقامًا لثلاثة آلاف قتلهم أسامة بن لادن؟! يصعب تصديق ذلك، لكن الإدارة مقتنعة بأن الأمريكيين من السذاجة بحيث لا يستطيعون أن يتعاملوا مع سيناريو أكثر تعقيدًا من سيناريو السفاح المنفرد المختل عقليًا، يساعده فى هذ المرة أعوان أسطوريون، يصنع الشر لمجرد الاستمتاع به، لأنه يكرهنا، ولأننا أغنياء وهو ليس كذلك. وقد تم اختيار أسامة عى أسس جمالية ليكون هو الرمز المرعب لعملية غزو ودحر أفغانستان، التى فكرنا فيها طويلاً، والتى كان التخطيط لها قد أعد قبل ٩/١١ بسنوات، وأعد مرة أخرى فى ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٠ عندما وضعت مجموعة مستشارى كلينتون التى كانت تستعد لمغادرة البيت الأبيض،خطة لضرب تنظيم «القاعدة»، ردًا على الهجوم الذى تعرضت له السفينة الحربية «كول». وقد قام ساندى بيرجر مستشار الأمن القومى لكلينتون بإبلاغ الخطة بنفسه لخليفته، ولكن كونداليزا رايس، التى كانت لا تزال متأثرة بدورها أحد مديرى شركة شيفرون تكساس التي لديها واجبات والتزامات خاصة تجاه باكستان وأوزبكستان فى مجال البترول، أنكرته بعد ذلك أنه أبلغها شيئًا من هذا

القبيل. وبعد انقضاء سنة ونصف، أى فى ١٢ أغسطس ٢٠٠٢، نشرت مجلة «تايم» بصراحة وشجاعة تقريرًا عن هذا النسيان المريب.

ومن الواضح أن الأسلوب الساخر المرير الذى استخدمه ڤيدال فى الحديث عن هذه المفارقات المريبة التى كانت تمس مصير أمريكا فى الصميم، مكنه من الربط بين تفاهة وسطحية الإعلام الأمريكى، وفى مقدمته الجهاز السينمائى الذى غسل مخ الجماهير بأفلامه التجارية الفجة التى تثير مشاعرها بشخصيات مثل السفاح المنفرد والمختل عقليا وأفراد عصابته المستمتعين بإطلاق كل نوازع الشر الكامنة فى أعماقهم المعتمة، لحقدهم على الأسوياء الناجحين من أفراد المجتمع المتحضر. وهو الصراع الفج نفسه الذى نشرته السينما الأمريكية، سواء فى أمريكا أو فى العالم بإسره، الصراع بين الفتية الطيبين الذين نذروا حياتهم لانقاذ أمريكا ومعها البشرية جمعاء من السفاحين الأشرار، الذين يسعون للقضاء على قيم الخير والحق التى يحارب من أجلها الفتية الطيبون. فالقضية برمتها مجرد صراع بين أضداد: خير وشر، نور وظلام، حق وباطل. وهى الدرس الأساس الذى يلقنه الإعلام الأمريكى المأجور ليل نهار، سواء للجماهير المغيبة داخل أمريكا أو خارجها. وكان كل ما فعله أسامة بن لادن الذى هو فى النهاية شخص وإن لم يكن عاديًا، ولا هو دولة بكاملها، هو أنه وفر الصدمة اللازمة لتبدأ حرب الغزو. لكن ڤيدال يتساءل: «لكن غزو ماذا؟ ما الذى يوجد فى أفغانستان البائسة المتربة يستحق الغزو»؟

وجد جور ڤيدال الإجابة عن هذا السؤال فى دراسة، قدمها زبينيو بريجنسكى فى عام ١٩٩٧ إلى مجلس العلاقات الخارجية بعنوان «رقعة الشطرنج الكبرى: التفوق الأمريكى، وما يفرضه من ضرورات جيواستراتيجية». وكان بريجنسكى البولندى المولد والمعتبر من الصقور، هو مستشار الأمن القومى للرئيس جيمى كارتر. وفى دراسته التى نشرت فى كتاب، استلهم بريجنسكى دروس التاريخ القديم منذ أن بدأت القارات تتعامل فى المجال السياسى منذ ما يقرب من خمسة قرون، حين كانت أوراسيا مركز القوة فى العالم، وهى التى تضم كل الأراضى الواقعة إلى الشرق من ألمانيا، أى روسيا، والشرق الأوسط، والصين وأجزاء من الهند. والآن يقرر بريجنسكى أن روسيا والصين المجاورتين لآسيا الوسطى الغنية بالبترول، هما القوتان الرئيسيتان اللتان تهددان الهيمنة الأمريكية فى تلك المنطقة.

وبصفته صقرًا أمريكيًا، فإنه يعتبر أن من الأمور المفروغ منها أن الولايات المتحدة يجب أن تسيطر على الجمهوريات السوفيتية السابقة فى آسيا الوسطى، والمعروفة عند «عشاقها» باسم «الستانات»: تركمانستان، أوزبكستان، طاجيكستان، قرغيرستان،

وكلها مهمة وضرورية من المنظور الأمنى، والمطامع التاريخية لثلاثة على الأقل من أقرب جيرانها وأقواهم: روسيا وتركيا وإيران، وكذلك الصين المتربصة فى انتظار دورها. ويركز بريجنسكى على أن استهلاك الطاقة فى العالم آخذ فى الزيادة، وبالتالى فإن من يسيطر على البترول والغاز فى بحر قزوين، سوف يسيطر على الاقتصاد العالمى. ثم يتذكر بريجنسكى أنه صقر أمريكى فيسارع إلى ممارسة لعبة الفتية الطيبين والفتية الأشرار، عندما ينتقل بالغريزة إلى التبرير الأمريكى للتوجه الإمبراطورى، فيقول:

«إننا لا نحتاج شيئًا، فى أي وقت،لأنفسنا، وإنما نريد منع الأشرار من الحصول على الأطايب التى يستطيعون بها أن يضروا الناس الطيبين، إذ يترتب على ذلك أن مصلحة أمريكا الأساسية هى الضمان ألا تصل دولة (أخرى) بمفردها إلى السيطرة على ذلك الفضاء الجيوسياسى، وأن تتاح للمجتمع الدولى فرصة الوصول إليه ماليًا واقتصاديًا بلا عائق».

ويلجأ فيدال مرة أخرى إلى السخرية التى لا يجد أسلوبًا أقوى منها فى التعبير عن الجهل القومى العام الذى يتمتع به القادة الأمريكيون، الذين يتركون عقولهم مجرد كرات يتلاعب بها صقور أو دهاة أو ثعالب من أمثال بريجنسكى الواثق تمامًا من أن القادة الأمريكيين يجهلون التاريخ والجغرافيا جهلاً مطبقًا،ولذلك فهو يشطح فى آرائه لدرجة الحديث بلا حرج عما يسميه «القدر الحتمى»، ولعله يدرك جيدًا أن القدر الحتمى يوجد فى تراجيديات شكسبير وأقرانه من كتاب المآسى، الذين يبلورون موقف الإنسان من الغيبيات، ولكن فى مجال السياسة بالذات فهو يقتضى اليقظة الكاملة والحسابات الدقيقة والاحتمالات المتوقعة، أما القائد السياسى الذى قد تصور له نفسه التعامل مع هذا «القدر الحتمى» الذى يتحدث عنه بريجنسكى، فلابد أن يلقى مصير أبطال التراجيديا وهو الموت؛ فليس هناك إنسان فى إمكانه أن يتحدى أو يتصدى لذلك «القدر الحتمى»، بل إن جهل بريجنسكى يتجلى بدوره فى وصف القدر بالحتمى، لأنه لا يوجد قدر غير حتمى، إذ إن الحتمية هى طبيعة القدر. ويركز بريجنسكى على تذكير مجلس العلاقات الخارجية بالمساحة الشاسعة لأوراسيا، ويذكر أن ٧٥٪ من سكان العالم يعيشون فيها، فيقول: «إذا لم أخطئ فى الحساب، فإن هذا يعنى أننا لا نسيطر حتى الآن إلا على ٢٥٪ من سكان العالم، كما أن أوراسيا تمثل ٦٠٪ من الناتج القومى الإجمالى للعالم، وثلاثة أرباع مواد الطاقة المعروفة».

ونظرًا للهوس الأمريكى بالهيمنة على مقدرات العالم، فكان من الطبيعى أن تلقى الخطة الكبرى التى وضعها بريجنسكى، قبولاً لدى عصبة تشينى – بوش. أما الشركات الأمريكية العملاقة وعابرة الجنسيات التى تتلهف على الثروة المعدنية

لأوراسيا، فقد تبنت الخطة من البداية، وشحنت كل طاقاتها لتوسيع الهيمنة الاقتصادية الأمريكية على هذا الكنز الأسطورى. ويعلق نفيس أحمد على خطة بريجنسكى بأنها إقرار وتعزيز وتوسيع الهيمنة العسكرية الأمريكية على أوراسيا من خلال آسيا الوسطى، مما يتطلب إضفاء الطابع العسكرى الصريح والممتد زمنيًا، على السياسة الخارجية، وأن يقترن ذلك بصناعة لم يسبق لها مثيل فى التأييد الداخلى وتوافق الرأى حول هذه الحملة لنشر الروح العسكرية. وأفغانستان هى البوابة المؤدية لكل هذه الثروات، ولابد أن يقاتل الأمريكيون ليحصلوا عليها، فهذه هى القيمة الوحيدة لأفغانستان. ويذكر بريجنسكى الشعب الأمريكى بأنه لم يكن راغبًا فى القتال فى أى من الحربين العالميتين، اللتين شهدهما القرن العشرون،ولكن الرئيس ويلسون قام بمناورة أدخلت الولايات المتحدة فى الحرب الأولى، وقام الرئيس روزفلت بمناورة دفعت اليابانيين لتوجيه الضربة الأولى فى بيرل هاربر؛ مما دفع الولايات المتحدة لدخول الحرب الثانية ردًا على هجوم خارجى كاسح. ويقول فيدال إن بريجنسكى يدرك هذا كله، وهو فى سنة ١٩٩٧ ينظر إلى الأمام كما ينظر إلى الوراء:

«وبالإضافة إلى ذلك، فعندما تزداد أمريكا فى مسيرتها المتسارعة صوب إقامة مجتمع متعدد الثقافات، فقد تجد من الأصعب تكون توافق فى الرأى حول قضايا السياسة الخارجية،إلا فى حالة تهديد خارجى مباشر كاسح وظاهر للعيان، وكانت تلك هى البندقية الرمزية التى أطلقت تلك السحابة السوداء من الدخان التى جثمت على أنفاس مانهاتن والبنتاجون».

هكذا استطاع فيدال برؤيته الثاقبة أن يصل إلى مكان الآراء المعتمة داخل بريجنسكى، وأن يكتشف أن كل الدلائل كان تؤكد أن حدثًا مثل الحادى عشر من سبتمبر، كان وشيك الوقوع بطريقة أو بأخرى. وربما كان أولو الأمر من القادة السياسيين الأمريكيين يعلمون المعنى الحقيقى لأقوال بريجنسكى، لكنهم آثروا الصمت والكمون؛ لأنهم لم يجدوا ذريعة أخرى يتعللون بها فى تحقيق هدفهم سوى حادث جلل من هذا النوع. ومن هنا كانت كل محاولاتهم لشيطنة أسامة بن لادن ليكون الفتى الشرير الذى يمكن تقديمه للعدالة، حيًا أو ميتًا، على طريقة أفلام رعاة البقر. وكان لابد أن تصبح أفغانستان، أرض المباراة التى ستجرى عليها أحداث «الفيلم الأمريكى الجديد»، مكانًا آمنًا ليس للديمقراطية فحسب، بل أيضًا لشركة «يونيون أويل أوف كاليفورنيا» التى كان مشروعها لإنشاء خط أنابيب يمتد من تركمنستان إلى أفغانستان إلى باكستان إلى ميناء كراتشى على المحيط الهندى، قد توقف تحت وطأة نظام الطالبان غير المستقر. لكن مشروع خط الأنابيب قد عاد بعد ذلك إلى

الحياة بفضل تعيين العصبة الحاكمة أحد موظفى الشركة (وتسمى اختصارًا يونوكال) هو، جون مارسكا مبعوثًا أمريكيًا لهذا البلد الديمقراطى الجديد» الذى كان رئيسه الحالى حامد كارزاي، موظفًا سابقًا فى إحدى شركات يونوكال. ولم يكن هذا سرًا مغلقًا بل «مانشيت» لموضوع نشرته صحيفة «لوموند» الفرنسية. ولذلك يتساءل فيدال فى سخريته المعهودة: «هل هى مؤامرة؟» ثم يرد على نفسه قائلاً: «بل هى مصادفة!»، مثل تلك المصادفات المفتعلة السخيفة التى أغرمت بها السينما الأمريكية.

وتتصرف الولايات المتحدة بالصفافة المعهودة نفسها التى تميز شخصية الشرير فى أفلامها، دون أن تكلف نفسها مجرد البحث عن تبرير يحفظ لها ماء وجهها؛ لأنها لم تكن تعبأ بأن يراق على مرأى من العالم، طالما أنها تسعى لتحقيق هدفها، فهى لا تعرف الحياء ولذلك تصنع ما تشاء شأنها شأن كل العتاة من الخارجين على القانون. فكل الشخصيات أو التنظيمات أو حتى الدول والشعوب مجرد مراحل عابرة أو مؤقتة لحين الانتهاء منها والتقدم إلى مراحل جديدة وهكذا. فهى كلها مجرد «كروت» أو أوراق للعب سرعان ما يتم التخلص منها بمجرد الانتهاء من المباراة.. فمثلاً بمجرد أن بدا أن أفغانستان دخلت إلى الحظيرة، وأصبحت تحصيل حاصل، تحولت العصبة الحاكمة بصورة مفاجئة عن الاهتمام بأسامة بن لادن، الذى كان تجسيدًا للشر، إلى الاهتمام بصدام حسين رغم عدم وجود أية أرضية مشتركة بينهما، كان أمرًا يصعب تفسيره لأنه لم يكن هناك ما يربط بين العراق والحادى عشر من سبتمبر، ولكن هذا لا يهم فى نظر السياسة الأمريكية، رغم الحكايات التى تنشرها الصحف عن ثروة العراق الهائلة من البترول التى يجب، لمصلحة العالم الحر، أن تعود السيطرة عليها إلى اتحادات الشركات (الكونسورتيوم) الأمريكية والأوروبية، إنها غطرسة أو عجرفة القوة الأمريكية التى خصص لها وليم فولبرايت دراسة قيمة نشرت فى كتاب بنفس بالعنوان نفسه، لفضح أسرارها ومحركاتها وآلياتها، والذى يعتبر، مثل جور فيدال، من الثائرين ضد التيار العام، يقول فيدال:

«وعلى نحو ما تنبأ به بريجنسكى، فإن خطرًا خارجيًا مباشراً وكاسحاً وظاهرًا للعيان، أتاح للرئيس أن يرقص رقصة الحرب أمام الكونجرس، ويصيح منتشيًا «إنها حرب طويلة الأمد». وعند ذلك أعلن محورًا للشر، غير متناسق الأعضاء ينبغى مقاتلته، وعلى الرغم من أن الكونجرس لم يعطه تفويضًا رسميًا بإعلان الحرب، فقد حصل على تصريح بتعقب أسامة بن لادن».

وتتصاعد روح السخرية عند فيدال عندما يتناول دور أبواق الإعلام الأمريكى المأجور بالتعرية بعد الحادى عشر من سبتمبر. فقد امتلأت هذه الوسائل والأجهزة

بالإدانة المسعورة لـ «أصحاب نظرية المؤامرة» الذين لا وطنية لهم والذين يسهل على وسائل الإعلام الإضرار بسمعتهم،لأنه من الأمور المفروغ منه أنه ليس ثمة مؤامرة فى الحياة الأمريكية !! إذ كيف تلجأ الولايات المتحدة إلى التآمر وهى التى تتصرف دائمًا كالحمل الوديع؟!! ومع ذلك، فقبل حوالى سنة من وقوع فاجعة الحادى عشرمن سبتمبر، لم يكن أحد يتصور أن الجانب الأكبر من الشركات الأمريكية كان يتآمر مع مكاتب المحاسبة للتلاعب فى دفاترها، على الأقل منذ الفجر المشرق للفساد الذى سطع مع عصر ريجان، الذى ألغى الضوابط والقيود مما أغرى حتى الشرفاء بانتهاز الفرصة للحصول على امتيازات وفوائد التزييف والاحتيال.

ومن الواضح أن سلوك جورج دبليو بوش فى ٩/١١ يدعو إلى إثارة كثير من الشكوك والشبهات والظنون، المشحونة بأسوأ ما يمكن أن يصل إليه العقل من أفكار سوداء كالكابوس. فمثلاً لم يستطع فيدال أن يتصور رئيسًا لدولة حديثة أخرى، كان يمكن أن يستمر فى الوقوف أمام عدسات المصورين لالتقاط صور «دافئة» له وهو يستمع إلى تلميذة صغيرة تروى له حكايات عن عنزتها التى تربيها،فى حين كانت الطائرات المخطوفة ترتطم ببرجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك، وبرج وزارة الدفاع (البنتاجون) فى واشنطن. ولولا سقوط الطائرة الرابعة فى بنسيلفانيا لكان البيت الأبيض هو المبنى المدمر الرابع، فى فاجعة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الولايات المتحدة، لدرجة أن كارثة بيرل هاربر فى المحيط الهادئ والتى أطلق عليها مصطلح «يوم العار»، أصبحت مجرد معركة عابرة من المعارك المتعددة والمتتابعة فى الحرب العالمية الثانية، إذا ما قورنت بفاجعة الحادى عشر من سبتمبر٢٠٠١، التى تعجز أسوأ المصطحات، أو أحقر الصفات عن التعبير عن أعماقها العفنة التى يمكن أن تطويها صفحات التاريخ الأمريكى الزاخر بجرائم لم ولن يستدل على مرتكبيها، وستظل حبيسة جدران الشكوك والأقاويل والظنون والشبهات. وهو التاريخ الذى يتغنى الساسة الأمريكيون بشفافيته التى لا مثيل لها!!

وما جرى فى ذلك الثلاثاء الرهيب، سرعان ما تحول إلى أدغال وأحراش وغابات من الشكوك والظنون،وضل اليقين طريقه بين طرقها الملتوية المسدودة، ومتاهاتها الجانبية، وحلقاتها المفرغة، وكهوفها المظلمة، بحيث ضاع الأمل تمامًا فى وضع اليد على حقائق ملموسة متبلورة، يمكن أن تأتى بالمجرمين أو المسئولين المهملين إلى ساحات القضاء والعدالة. وفى مقدمة هذه الشكوك والظنون والشبهات ما فعله بوش يوم الفاجعة، مما جعل فيدال يثير تساؤلات منطقية وعلمية وتحليلية لعلها تضئ بعض جوانب الكابوس المعتم. يقول فيدال إن بوش ليس مجرد رئيس للدولة، بل هو

أيضًا القائد الأعلى للقوات المسلحة والإجراء المتبع فى مثل هذه المواقف أن يتجه القائد الأعلى مباشرة إلى مقر القيادة، ويوجه العمليات ويتلقى آخر المعلومات. يضيف فيدال قوله:

«وهذا ما فعله بوش بالضبط أو لم يفعله، وفقًا لما قال به ستان جوف،وهوضابط متقاعد فى الجيش الأمريكى قام بتدريس العلوم السياسية فى قاعدة «ويست بوينت». كتب جوف فى رسالة بعنوان «الدليل المزعوم: حكاية كاذبة»: «لست أدرى لماذا لا يسأل الناس أسئلة محددة للغايةعن تصرفات بوش وشركاه فى يوم وقوع الهجمات؟ فقد تم اختطاف أربع طائرات، وأخرجت من خط طيرانها المقرر، وكل ذلك ظاهر على رادارات سلاح الجو الأمريكى». وكان جوف، كغيره من الخبراء العسكريين المذهولين، لا يستطيع أن يفهم لماذا لم ينفذ الأمر الحكومى الآلى المعتاد بشأن الإجراءات التى تتخذ فى حالة خطف طائرة. فمبجرد أن تنحرف الطائرات عن خط طيرانها، تحلق طائرات مقاتلة فى الجو لتتحرى السبب. وهذا بحكم القانون ولا يتطلب موافقة من الرئيس، إذ إن هذه الموافقة لا تكون مطلوبة إلا لاتخاذ قرار بضرب الطائرة وإسقاطها. ويقول جوف بصراحة: «لقد تم اختطاف الطائرات بين الساعة ٧,٤٥ والساعة ٨,١٠ صباحًا. فمن الذى أبلغ بذلك؟ هذه واقعة لم يسبق لها مثيل». ومع ذلك فإن الرئيس لم يبلغ بها، وذهب إلى مدرسة ابتدائية فى فلوريدا ليستمع إلى الأطفال وهم يقرأون دروسهم».

ويحكى فيدال الأحداث التالية بطريقة السيناريو السينمائى عندما يعتمد على المونتاج المتوازى الذى يعتمد على القطع بين مشهد وآخر كنوع من الرد المتبادل بين المشهدين فى نفس السياق الزمنى. فيبدأ سرده السينمائى بأنه حوالى الساعة ٨,١٥ صباحًا كان من الواضح تمامًا أن شيئًا خطيرًا قد حدث. وكان الرئيس يصافح المعلمين سعيدًا. وبحلول الساعة ٨,٤٥، عندما اصطدمت طائرة أمريكان إيرلاينز فى رحلتها رقم ١١ بالبرج الشمالى، كان بوش يقف مع الأطفال لالتقاط صورته. وفى الوقت نفسه كانت أربع طائرات قد تم اختطافها فى طريقها إلى المجهول، الذى سرعان ما تكشف عندما غيرت إحداها ارتفاعها بسرعة لتصطدم بالبرج الشمالى فى المركز العالمى للتجارة، لكن أحدًا لم يقم بإخطار الرئيس الأعلى للقوات المسلحة. ومن الواضح أن أحدًا لم يرسل بطائرات سلاح الجو الاعتراضية أيضًا. وفى الساعة ٩,٠٣ اصطدمت الطائرة ١٧٥ بالبرج الجنوبي. وفى الساعة ٩,٠٥،مال أندرو كارد رئيس الأركان على أذن بوش ليهمس بكلمات غير مسموعة، جعلت بوش يتجهم لوهلة قصيرة طبقًا لما ذكره مندوبو الصحف. ولكن وجه بوش سرعان ما عاد إلى طبيعته ليستأنف الاستماع إلى تلاميذ الصف الثانى الابتدائى.

واستمرت المهزلة حتى بعد أن غيرت طائرة أمريكان إيرلاينز اتجاه رحلتها رقم ٧٧ كلية ودارت حول أوهايو، وانطلقت فى اتجاه واشنطن العاصمة. كل هذا كان جاريًا، ولم يصدر الرئيس تعليماته للجنرال كارد بأن تحلق طائرات سلاح الطيران الاعتراضية فى الجو!! وبعد ٢٥ دقيقة مصيرية أخرى، فإنه يتنازل ويتعطف بالإدلاء ببيان عام، هو تحصيل حاصل لأنه أبلغ فيه الأمريكيين بما كانوا قد رأوه بأعينهم جهارًا نهارًا، فقد كان الذهول على جميع الوجوه، حين انعقدت الألسنة فى محاولة لاستيعاب كابوس الهجوم على مركز التجارة العالمى. وفى الوقت نفسه كانت هناك طائرة مخطوفة تحلق متجهة إلى واشنطن، ومع كل هذه الضربات أو الكوارث المتلاحقة، لم تكن التعليمات قد صدرت لسلاح الطيران حتى ذلك الوقت للدفاع عن أى شىء ، فقد كان واقعًا كابوسيًا أغرب من أى خيال أو تصور .

وتتوالى مشاهد السيناريو، ففى الساعة ٩,٣٥ تغير هذه الطائرة مسارها وتدور ٣٦٠ درجة فوق البنتاجون، وأجهزة الرادار تتبعها بمنتهى الدقة طوال الوقت ولا يتم إخلاء المبنى وإعلان حالة الطوارئ فى كل أرجائه استعدادًا لأية احتمالات. كل هذه الإثارة المميتة كانت جارية على قد وساق، ولم تظهرحتى تلك اللحظات أية طائرات من سلاح الطيران فوق مدينتى الإسكندرية وواشنطن. ويتساءل فيدال عن هذه الحكايات التى تفوق الأساطير فى غرابتها، تساؤلات ساخرة مريرة تحمل فى طياتها الإجابة عنها:

«هل كانوا يريدوننا أن نصدق أن قائدًا للطائرة قد تدرب فى مدرسة فلوريدا للقفز بالبراشوت للقيام ببعض الألعاب المدنية، قام بهبوط حلزونى محسوب بدقة بحيث انخفض مسافة السبعة آلاف قدم الأخيرة فى دقيقتين ونصف، وأصبحت الطائرة على ارتفاع منخفض للغاية بحيث قطعت أسلاك الكهرباء عبر الشارع أمام البنتاجون، ويقودها بدقة تامة بحيث تصطدم بجانب المبنى بسرعة ٤٦٠ عقدة. لكن عندما بدأت نظرية إجادة الطيران إلى هذه الدرجة فى مدرسة لتعليم القفز بالبراشوت تفقد مصداقيتها، برز إدعاء إضافى بأن الذين قادوا الطائرات حصلوا على تدريب إضافى على الأجهزة الأرضية التى تحاكى كل العمليات المزمع تنفيذها فى الجو. وهذا يشبه القول بأنك دربت ابنتك الصغيرة للقيام بأول رحلة لها على الطريق فى ساعة الذروة بأن اشتريت لها لعبة قيادة بالفيديو. لاشك أن القصة التى تروى عن هذه الأحداث ملفقة ومهينة للعقل. وهناك المزيد من التعمية والغموض، فكلما توغلنا فى القصة زاد الغموض المثير للشكوك، ذلك أن اللامبالاة التى أبداها الجنرال ريتشارد مايرز، نائب رئيس الأركان المشتركة، تدعو إلى الحيرة بقدر ما يدعو موقف الرئيس بوش من إدراته للأمور بشكل روتينى غريب».

كانت كل الظواهر مثيرة للصدمة والذهول والريبة، خاصة بالنسبة لشاهد العيان الموجود فى موقع القيادة. فقد كتب أحد ضباط الصف فى «مجلة القوات المسلحة» يصف سلوك مايرز فى مبنى الكابيتول (الكونجرس)، وهو يثرثر مع السيناتور كليلاند عندما كان فى مكتب خارجى ولمح تقريرًا فى التليفزيون يبين أن طائرة قد اصطدمت بمركز التجارة العالمى. وقال مايرز بمنتهى الهدوء واللامبالاة إنهم تصوروا أنها طائرة صغيرة أو شىء من هذا القبيل. وبعد ذلك استأنف الرجلان حديثهما مرة أخرى، وكأن شيئًا لم يحدث.

ويعود ڤيدال إلى سخريته من كل هذا العبث فيقول:

«وأيًا كان الموضوع الذى تكلم فيه مايرز وكليلاند (اعتمادات أكثرللعسكريين؟) فلابد أنه كان بالغ الأهمية!! لأنه أثناء الثرثرة بينهما – كما ذكرت المجلة – اصطدمت طائرة نفاثة بالبرج الثانى. ولم يجد ما يرز ما يقوله سوى أن أحدًا لم يبلغهم بذلك، ولكنهم عندما خرجوا، كان الأمر واضحًا! وفى تلك اللحظة بالذات، قال أحد الأشخاص إن البنتاجون تعرض للضرب. وفى النهاية،وضع أحدهم تليفونًا محمولاً فى يد مايرز إذ يعتقد أنه إلى أن تمت المكالمة بالتليفون المحمول بينه وبين القائد العام للسلاح الجوى، كان القرار قد اتخذ بتحليق الطائرات فى الجو. وكانت الساعة عندئذ ٩,٤٠ صباحًا، أى بعد ساعة وعشرين دقيقة من معرفة المراقبين الجويين بأن الطائرة رقم ١١ قد اختطفت، وبعد ٥٠ دقيقة من تدمير البرج الشمالى.

ولا يعتقد ڤيدال أن جوف أستاذ العلوم السياسية فى قاعدة «ويست بوينت» كان متشككًا دون داع عندما تساءل عن الشخص الذى منع سلاح الطيران من اتباع التدابير والإجراءات المعتادة وحجته فى هذا، بدلاً من الانتظارلمدة ساعة وعشرين دقيقة حتى وقعت الكارثة، إذ بعد ذلك فقط حلقت المقاتلات فى الجو، وكأنها كانت فى انتظار أن تنتهى الطائرات المغيرة من مهمتها. كان من الواضح أن شخصًا ما أصدر الأوامر إلى سلاح الطيران بألا يتحرك لاعتراض تلك الطائرات المختطفة إلى أن يتم تنفيذ الخطة الشيطانية المجهولة.

وفى يوم ٢٢ يناير ٢٠٠٢،لخص بارى زويكر المحلل السياسى فى شبكة التليفزيون الكندى،الموقف بقوله: «فى ذلك الصباح لم تستجب أى من الطائرات الاعتراضية فى الوقت المناسب لأقصى حالات الانتباه. وهذا يشمل أسراب قاعدة أندروز الجوية العسكرية، التى لا تبعد عن البيت الأبيض بأكثر من ١٢ ميلاً. وأيًا كان تفسير هذا الفشل المدوى، لم ترد أخبار، فى حدودعلمى،عن توقيع جزاءات. وهذا يؤكد ضعف نظرية عدم الكفاءة». ومن الطبيعى بل ومن الضرورى أن يواجه عدم

الكفاءة بالعقاب، مما جعل فيدال يتساءل عما إذا كانت هناك أوامر بالبقاء على الأرض؟! وفى ٢٩ أغسطس ٢٠٠٢،ذكرت شبكة BBC البريطانية أنه فى يوم ٩/١١، لم تكن هناك غير أربع مقاتلات فى حالة استعداد فى شمال شرق الولايات المتحدة، بحيث يستحيل إرجاع هذا التسيب المأسوى الرهيب إلى مجرد مصادفة أو خطأ؛ مما يرجح نظرية المؤامرة. ولكن المعضلة تكمن فى أنه يبدو أن الأطراف المعنية أو المخططة أو المنفذة أو المتورطة اتفقت جميعًا على أن تظل المؤامرة طى الكتمان، إلى أن تتلاشى فى غياهب النسيان. ويرى فيدال أن السياسة الأمريكية لها سوابق فى هذا المجال المريب الذى يطمس الوقائع والحقائق جهارًا نهارًا، اعتمادًا على الغيبوبة اليومية التى تخيم على العقل الأمريكى اللاهث وراء لقمة العيش والخائف من أن يفقدها ذات يوم. يقول فيدال:

«من الطريف أن نلاحظ أنه كثيرًا ما حدثت فى تاريخنا، عندما تقع الكوارث، أن تكون حجة عدم الكفاءة أفضل من .... أجل، فهناك أشياء أسوأ. فمثلاً بعد واقعة بيرل هاربر، بدأ الكونجرس يتحرى السبب فى أن القائدين العسكريين فى هاواى، الجنرال شورت والأدميرال كيمبل، لم يتوقعا الهجوم اليابانى، ولكن الرئيس روزفلت أوقف ذلك التحقيق عن طريق القيام بتحقيق أجراه بنفسه، وقد أدين شورت وكيمبل بعدم الكفاءة، ومازالت «الحقيقة» خافية حتى اليوم».

يقول فيدال هذا التعقيب الذى يذكر الكثيرين بما يحويه التاريخ السياسى الأمريكى من مؤامرات وجرائم واغتيالات (الرئيس جون كيندى مثلاً) ابتلعتها متاهات وأنفاق مظلمة دفنت داخلها إلى الأبد. بل إن الإعلام الأمريكى الذى يتشدق دائمًا بالحرية والشفافية، يبدو متواطئًا بحيث التزم مخبروه الصمت تجاه واقعة ١١ سبتمبر، فى حين أنهم أقاموا الدنيا ولم يقعدوها فى فضيحة ووترجيت التى انتهت بطرد الرئيس نيكسون من البيت الابيض؛ لأنه وضع الديمقراطية الأمريكية فى خطرمحدق، عندما سمح بتجسس حزبه الجمهورى على مقر الحزب الديمقراطى فى ووترجيت، فى حين أن التجسس الفردى والجماعى، السياسى والاقتصادى والاجتماعى، يعد غذاءً يوميًّا للشعب الأمريكى، سواء على المستوى الرسمى أو الشعبى. بل إن أجهزة التجسس بالصوت والصورة تباع لكل الأمريكيين مثل فطائر البيتزا وساندويتشات الهامبورجر فى محالات منتشرة فى كل أرجاء الولايات المتحدة. كذلك تابعت أجهزة الإعلام الأمريكى كل التفاصيل المخزية فى محاكمة الكونجرس للرئيس كلينتون لعلاقته بمتدربة البيت الأبيض مونيكا ليونسكى التى صورت على أنها القشة التى قصمت ظهر النظام السياسى الأمريكى، وكأن البيت الأبيض كان قبل

كلينتون ديرًا للرهبان والنساك،وفى حين أنه من الصعب وجود رئيس فى البيت الأبيض منذ إنشاء الولايات المتحدة،لم تكن له فضائح جنسية متعددة الأشكال والأنواع، لدرجة أن الرئيس المشلول فرانكلين روزفلت نال نصيبه من كعكة المغامرات والعلاقات الجنسية فى حدود قدراته وهوعلى كرسيه المتحرك.

فهل كانت فضيحة ووترجيت لنيكسون وفضيحة مونيكا لوينسكى لكلينتون، كارثتين أشد وطأة على الكيان الأمريكى من كارثة الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، التى خرج منها جورج دبليو بوش كالشعرة من العجين ومعه أعضاء عصابته؟! وحتى واقعة بيرل هاربر درست دراسة واسعة، أما أحداث ١١/ ٩ فلم يتم إجراء تحقيق بشأنها طوال وجود بوش فى البيت الأبيض، ويبدو أن باراك أوباما سيتبع النهج نفسه، بدليل أنه شرع فى المائة يوم الأولى له فى البيت الأبيض، والتى يعتبرها التقليد السياسى الأمريكى اختباراً حقيقيًا لقدراته الإدارية، فى فتح الملفات التى تعتبر محظورة فى التقاليد الأمريكية مثل ملف معتقل جوانتانامو فى كوبا، وملف الفقراء الكادحين أو المعدمين، وملف الطبقة المتوسطة، وملف الشركات الأمريكية العملاقة لإعادة هيكلتها، بعد الانهيارات التى أصابتها من جراء الأزمة الاقتصادية العالمية، وملفات إيران وتركيا والعراق وأفغانستان وباكستان واحتمالات الانسحاب أو الوفاق وإعادة تأهيل وكالة المخابرات المركزية. وكلها ملفات حساسة وربما شائكة، لكن أوباما لم يمس ملف ١١ سبتمبر من قريب أومن بعيد؛ مما قد يدل على أنه ملف زاخر بمفاجآت ومتفجرات وبراكين، لا يستطيع أوباما أوغيره احتواءها. ولذلك آثر أن يبتعد عن الشر وأن يتجاهله تمامًا، ورفض مجرد أن يغنى له لأن الغناء قد يخرج الثعابين والحيات من كهوفها.

وفى يناير ٢٠٠٢، ذكرت شبكة CNN أن «بوش شخصيًا طلب من توم داشيل زعيم الأغلبية فى مجلس الشيوخ تضييق نطاق تحقيقات الكونجرس فى أحداث ١١ سبتمبر. وقد قدم هذا الطلب فى لقاء خاص مع زعماء الكونجرس، وقالت المصادر إن الرئيس هو الذى بدأ الحديث فى الموضوع، وطلب بوش ألا يطلع أحد غير لجنتى المخابرات فى مجلس النواب والشيوخ على جوانب الضعف المحتملة لدى الهيئات الفيدرالية، والتى سمحت بحدوث هجمات الإرهابيين، وألا يمتد التحقيق ليشمل جوانب أوسع من ذلك. وقد جاءت مناقشة يوم الثلاثاء بعد واحدة من المكالمات القليلة التى أجراها ديك تشينى نائب الرئيس يوم الجمعة السابق وقدم فيها الطلب نفسه».

وطبقًا لما ذكره داشيل فى حديثه لمجلس الشيوخ، كان العذر المقدم لتضييق الخناق على تحقيق الكونجرس فى أحداث ١١ سبتمبر، يتمثل فى أن المصادر والأشخاص سينشغلون عن الحرب على الإرهاب فى حالة حدوث تحقيق أوسع نطاقًا. ومن هذا المنطلق، ينعى ڤيدال كل أساليب التضليل والتغييب والتعمية التى تمارسها السلطات الأمريكية على المواطنين فيقول:

«وهكذا لأسباب يجب ألا نعرفها، ينبغى إلقاء اللوم فى ذلك الإخفاق على عدم الكفاءة. وأما إذا لم تكن المسألة راجعة إلى عدم الكفاءة، بل إلى أوامر بعدم التحليق، فذلك شىء لا يجوز لنا أن نتصدى له. ومن المؤكد أن مرور ساعة كاملة وعشرين دقيقة، دون أن تنطلق الطائرات المقاتلة إلى الجو، لا يمكن أن يكون راجعًا إلى عدم الكفاءة فى كل وحدات سلاح الطيران على طول الساحل الشرقى. وهذا لا يعنى سوى شيء واحد وهو أن الأمر صدر بمنع الإجراءات المعتادة الإلزامية وعدم تطبيقها.

«وفى أثناء ذلك، تم تكليف وسائل الإعلام بمهمتها المعتادة، وهى شحن الرأى العام ضد أسامة بن لادن، دون وجود أى دليل قاطع على أنه مدبر العملية. وهذه الحملات الدعائية كثيرًا ما تتشابه مع الحيل، التى يلجأ إليها الساحر عند تقديم ألعابه، ففى حين تنصب أنظار المشاهدين على الألوان البراقة لمناديله الحريرية فى إحدى اليدين، يكون قد وضع الأرنب باليد الأخرى فى جيب أحد المتفرجين. وكانوا فى عجلة من أمرهم، عندما أكدوا لنا أن العائلة الكبيرة التى ينتمى إليها أسامة بن لادن وصاحبة الثروة الهائلة قد قطعت علاقتها به، كما فعلت الأسرة المالكة فى بلده الأصلى: المملكة العربية السعودية، وأقسمت وكالة المخابرات المركزية وهى تضع يدها على قلبها بأن أسامة بن لادن لم يكن يعمل لحسابها فى الحرب ضد الاحتلال السوفيتى لأفغانستان. وأخيرًا، فإن الشائعات التى ترددت عن أسرة بوش قد استفادت بأى شكل من مشاركتها لأسرة بن لادن على امتداد سنوات طويلة، كانت مجرد خطأ فى الاختيار، وماذا يمكن أن يكون غير ذلك»؟

ولا يكتفى ڤيدال بكل هذه الشواهد التى تشير بمختلف أصابع الإتهام والإدانة إلى القابعين على قمم السلطة السياسية والاقتصادية والعسكرية، والإدارية فى الولايات المتحدة، بل يعود إلى الوراء بحثًا عن جذور هذه التركيبة أو التوليفة المريبة بين آل بوش وآل بن لادن، فيوضح أن مشاركة بوش الابن ترجع إلى سنة ١٩٧٩ على الأقل، عندما أدت محاولته الفاشلة ليصبح أحد اللاعبين فى (كارتل) أو رابطة منتجى وتجار البترول العملاقة فى تكساس، إلى التقائه برجل يدعى جيمس باث من

هيوستون وكان من أصدقاء الأسرة، وأعطى بوش الابن ٥٠ ألف دولار ليشترى بها حصة تبلغ ٥ فى المائة من مؤسسة بوش المسماة «آربوستو إنرجى». ويقول وين ماتسن فى كتابه «فى تلك الأيام»،إنه فى ذلك الوقت كان باث هو رجل الأعمال الأمريكى الوحيد الذى يمثل سالم بن لادن، عميد الأسرة وشقيق (واحد من ١٧) لأسامة بن لادن. وفى بيان صدر بعد وقت قصير من هجمات ١١ سبتمبر، أنكر البيت الأبيض بشدة تلك العلاقة مؤكدًا أن باث كان يستثمر أمواله الخاصة وليست أموال سالم بن لادن فى شركة أربوستو. وتضاربت أقوال بوش، فأنكر فى البداية أنه عرف باث فى أى وقت، ثم اعترف بحصته فى أربوستو، وبأنه كان يعرف أن باث يمثل مصالح سعودية. وبعد عدة تحولات تغير اسم أربوستو، وظهرت الشركة فى عام ١٩٨٦ تحت اسم شركة هاركن للطاقة.

ويعرى ڤيدال التواطؤ الرأسمالى الذى لا يقيم وزنًا للصالح الأمريكى العام، لأن هدفه يتمثل أولاً وأخيرًا فى المصالح الشخصية لكبار المستثمرين. فقد كان بوش الأب وراء بوش الابن، فعمل الأب مقابل مبلغ ضخم لصالح «مجموعة كارلايل» التى تستثمر رؤوس أموال فى عدد لا يقل عن ١٦٤ شركة فى أنحاء العالم. ولم تجد صحيفة «وول ستريت جورنال» التى تعد الناطقة بلسان الأغنياء،أى حرج فى أن تذكر فى ٢٧ سبتمبر ٢٠٠١ أنه:

«إذا قررت الولايات المتحدة زيادة إنفاقها العسكرى؛ بهدف إيقاف أنشطة أسامة بن لادن الإرهابية المزعومة ، فقد يكون هناك مستفيد واحد غير متوقع: هم المستثمرون فى مؤسسة أنشأتها مجموعة كارلايل، وهى بنك تجارى له اتصالات قوية بالإدارة الأمريكية فى واشنطن، ومتخصص فى شراء الشركات المشتغلة بشئون الدفاع والطيران. وأسامة بن لادن هو واحد من خمسين من أبناء محمد بن لادن الذى أنشأ أعمال الأسرة والتى بلغت خمسة مليارات دولار».

ويواصل ڤيدال تعرية التواطؤ الرأسمالى مع من يفترض فيهم أنهم أعداء الولايات المتحدة، فيقول بوضوح إن بوش، الأب والابن، فى سعيهما وراء الثروة والمناصب، لا يخجلان من شىء، ثم يضيف بسخريته المعهودة أنهما ربما كانا يتبعان المنطق السليم، بل تناثرت الأقاويل فى مختلف الأوساط والدوائر بأنهما بذلا ما فى وسعهما لمنع البحث فى مدى اتصال بن لادن بالإرهاب، دون أى خجل من تهمة العمالة لهذا الإرهابى. وقد نشرت وكالة الأنباء الفرنسية فى ٤ نوفمبر ٢٠٠١،خبرًا يفيد بأن «رجال المباحث FBI الذين كانوا يتتبعون أقارب الإرهابى المشتبه فيه أسامة

بن لادن والمنحدر من أصول سعودية، قد طلب منهم ألا يواصلوا عملهم بعد وقت قصير من جلوس جورج دبليو بوش على مقعد الرئاسة».

وفى ٦ نوفمبر ٢٠٠١، أذاعت شبكة BBC البريطانية فى نشرتها المسائية، أنه بعد أيام قليلة فقط من انطلاق خاطفى الطائرات متجهة إلى البرجين التوءمين تسللت طائرة تشارتر خاصة من نفس المطار، حاملة ١١ من أفراد أسرة أسامة بن لادن متجهة إلى المملكة السعودية، ولم يكن ذلك مثارًا لقلق البيت الأبيض، رغم أن الطعنة النجلاء التى اخترقت القلب الأمريكى لم تكن قد اندملت بعد، إذ إن خطه الرسمى هو أن «آل بن لادن هم فوق الشبهات». وقد نشرت «جرين برس» فى ١٤ فبراير ٢٠٠٢، مقالة بعنوان «فوق القانون» تلخص فيه الموقف بقولها:

«لقد كنا نواجه ما يبدو أنه أكبر فشل للعاملين فى المخابرات منذ واقعة بيرل هاربر، ولكن يتضح مما نعرفه الآن أن الأمر لم يكن فشلاً، بل كان توجيهات. صدق؟ كذب؟ إن جورج بوش الابن سوف يقسم على أن يقول الحق عند استجوابه فى الموضوع. فهل سنسمع من يسأل: «ماذا كان التوجيه؟ ومن أين صدر؟».

ولكن يبدو أن «جرين برس» كانت متفائلة بدون داع، لأن نيكسون تم التحقيق معه وخير بين السجن أو الطرد من البيت الأبيض، وفضل الاختيار الثانى لمجرد أنه سمح بالتنصت على مقر الحزب الديمقراطى فى ووترجيت، ولأن كلينتون تم التحقيق معه وفضحه أمام العالم أجمع لمجرد أفعاله الصبيانية مع مونيكا لوينسكى، أما بوش الابن فظل يقوم بواجب العزاء فى ذكرى ١١ سبتمبر، التى يتواصل الاحتفال بها سنويًا منذ عام ٢٠٠٢، دون أن تشير أجهزة الإعلام المتشدقة بالديمقراطية والحرية والشفافية بمجرد كلمة عابرة لاحتمال تقديم بوش للتحقيق والذى كان أقصى ما فعله هو البكاء بدموع باردة على أطلال مركز التجارة العالمى. فهل هناك استهانة بالعقل الأمريكى ومعه عقل العالم أجمع، أبشع من ذلك؟!

ويؤكد فيدال هذا التفسير بشواهد سابقة على ١١ سبتمبر،تدل على المدى الذى بلغه المسئولون الأمريكيون بصفةعامة وآل بوش بصفة خاصة بوضع أنفسهم رهن إشارة آل بن لادن بصفة عامة وأسامة بن لادن بصفة خاصة، وحمايته من أى مأزق يمكن أن يتعرض له. فعلى الرغم من أن الولايات المتحدة لم تتوقف لسنوات طويلة متتابعة عن تذكير العالم بأن أسامة بن لادن إرهابى خطير،فإنها لم تبذل أية محاولة جادة قبل ١١ سبتمبر لتقديمه للمحاكمة «حيًا أو ميتًا، بريئًا أم مذنبًا» طبقًا لقانون الغابة المطبق فى تكساس. وقد سلمت الخطة التى وضعت بإشراف كلينتون واعتماده لاتخاذ إجراء فى هذا الشأن، إلى كونداليزا رايس على يد ساندى بيرجر، لكنها نفت

تمامًا أنها تسلمتها، بحيث يمكن أن يدخل هذا التصرف فى القائمة الطويلة للشكوك غير الطبيعية التى أحاطت بواقعة ١١ سبتمبر.

ويضيف فيدال دليلاً آخر إلى هذه الشكوك التى تجاهلتها وسائل الإعلام الأمريكى لمزيد من التعمية والغموض، فيقول إنه فى وقت سابق يرجع إلى شهر مارس ١٩٩٦، عندما كان أسامة بن لادن في السودان، عرض اللواء الفاتح عروة وزير الدفاع السودانى فى ذلك الوقت إبعاد بن لادن. وقد نشرت صحيفة «واشنطن بوست» فى ٣ أكتوبر ٢٠٠١، تحقيقًا محايدًا ومتحفظًا عن الموضوع برمته، وهى الصحيفة التى أعلنت الحرب على ريتشارد نيكسون فى فضيحة ووترجيت من خلال محررها بوب وودورد، مما يدل على أن أسامة بن لادن،فى نظر الاستراتيجية الأمريكية،يحسب له ألف حساب وأعظم اعتبار لم يكن نيكسون ليحصل عليه. فقد ورد فى الصحيفة أن عروة صرح بأنه يسعده أن يراقب بن لادن بدقة لحساب الولايات المتحدة، وإذا لم يكن ذلك كافيًا أو فعالاً، فإن الحكومة السودانية على استعداد للقبض عليه وتسليمه. لكن المسئولين الأمريكيين اكتفوا ببساطة بأن تطلب منه الحكومة السودانية مغادرة البلاد، بشرط ألا يذهب إلى الصومال حيث نسبت إليه عملية الهجوم الناجحة التى قامت بها «القاعدة» على القوات الأمريكية فى عام ١٩٩٣ والتى قتل فيها ١٨ جنديًا من القناصة. وقد صرح عروة فى مقابلة صحفية مع «واشنطن بوست» بأنهم عرضوا على المسئولين الأمريكيين أن يذهب بن لابن إلى أفغانستان فرحبوا على الفور وتمت العملية، التى لم تحاول الصحيفة تفسير الدوافع المريبة الكامنة فيها، بل عرضتها بحياد غريب مثل نشرها لحالة الطقس اليومية!

تم استبعاد أسامة بن لادن ومعه ٣٠٠٠ من أعوانه إلى أفغانستان فى عام ١٩٩٦، لكن بعد سنتين،واصلت إدارة كلينتون ما أسماه فيدال «التراث الأمريكى» على سبيل السخرية،فبدلاً من تقديم الشكر للسودان على عرضه تسليم أسامة بن لادن، شنت الولايات المتحدة هجومًا بالصواريخ على مصنع «الشفاء» للأدوية بدعوى أن السودان يؤوى أتباع أسامة بن لادن الإرهابيين، وأنهم كانوا يصنعون أسلحة كيماوية وبيولوجية، فى حين لم يكن المصنع ينتج شيئًا غير المواد اللازمة للتطعيم لحساب الأمم المتحدة، كى يبدو الأمر برمته، وكأن الولايات المتحدة تعاقب السودان على تهريبه أسامة بن لادن إلى أفغانستان بدلاً من القبض عليه وتسليمه لها. فالسياسة الأمريكية هى فى حقيقتها عملة مزيفة، وأى وجه من وجهى العملة تتعامل به هو الزيف بعينه. كانت مزيفة عندما رفضت قيام السودان بالقبض على أسامة بن لادن وتسليمه إيها، ومزيفة عندما رحبت بإبعاده إلى أفغانستان، ومزيفة يوم ضربت مصنع «الشفاء»

السودانى للأدوية، مما يدل على أنها العملة الوحيدة فى العالم التى لها أكثر من وجهين، لأن كمية الزيف التى تنطوى عليها تحتاج إلى وجوه لا حصر لها. وقد صور فيدال هذا الزيف والكذب والإدعاء والبهتان والتعمية والمراوغة، خير تصوير عندما قال بمنتهى السخرية:

«لقد شاهدت بوش وتشينى على شبكة CNN عند إلقاء الخطاب الخاص بمحور الشر وإعلان «الحرب التى ستستمر طويلاً». وقد تم توجيه الإتهام إلى العراق وإيران وكوريا الشمالية باعتبارها الأعداء التى سينزل بها العقاب، لأنها تؤوى أو لا تؤوى الإرهابيين الذين قد يدمروننا أولا يدمروننا أثناء الليل. ولذا ينبغى أن نبدأ نحن بالضرب عندما يروق لنا ذلك. وهكذا أعلنا «الحرب على الإرهاب». وهو اسم مجرد لا يمكن مواجهته والإمساك بتلابيبه، ومن ثم لا يمكن خوض حرب عليه مطلقًا، لأن الحرب تعلنها دولة على دولة أخرى. وبطبيعة الحال كانت هناك أفغانستان التى لم ترتكب إثمًا، والتى سويت بالأرض من ارتفاع كبير، ولكن ماذا يهم الضرر عندما يكون العدو هو تجسيد لكل ألوان الشر، على نحو ما تذكر مجلة «تايم» وصحيفة «نيويورك تايمز» وشبكات التليفزيون».

ويبلغ الزيف والاحتيال قمتهما عندما ثبت فيما بعد أن غزو أفغانستان لم تكن له صلة بأسامة بن لادن، الذى كان مجرد ذريعة لاستبدال الطالبان بحكومة أكثر مرونة واستقرارًا يمكنها أن تسمح لشركة «اتحاد بترول كاليفورنيا» بمد خط الأنابيب الذى يحقق الأرباح المنشودة لعصبة تشيني/بوش ضمن أطراف أخرى. ويثير فيدال كل عوامل التشويق داخل القارئ، عندما يخوض فى بحر الأسرار ويكشف عن الخلفيات المعتمة لهذه الأحداث:

«هل تريدون معرفة خلفية هذه الأحداث؟ إن مقر رئاسة شركة يونوكال، كما هو متوقع، قائم فى تكساس. وفى ديسمبر ١٩٩٧ دعى ممثلو طالبان إلى اجتماع فى شوجرلاند بتكساس. وفى ذلك الوقت، كانت شركة يونوكال قد بدأت بالفعل فى تدريب بعض المختصين الأفغان على إنشاء خط الأنابيب بموافقة الحكومة الأمريكية. وقد ذكرت شبكة BBC البريطانية فى ٤ ديسمبر ١٩٩٧ أن«متحدثًا باسم شركة يونوكال ذكر أن من المتوقع أن يقضى رجال الطالبان بضعة أيام فى المقر الرئيسى للشركة فى تكساس....» وأن مراسلاً محليًا للشبكة يقول «إن اقتراح إنشاء خط للأنابيب عبر أفغانستان هو جزء من مشروع دولى؛ للاستفادة من تنمية موارد الطاقة الغنية فى بحر قزوين». وذكرت وكالة أنباء «إنتر بريس» أن «بعض رجال الأعمال الغربيين يعملون على تحسين علاقاتهم مع الطالبان، رغم لجوء تلك الجماعة بصورة

منتظمة إلى أعمال الإرهاب والاغتيال والخطف ونشر الفقر». وذكرت CNN فى ٦ أكتوبر ١٩٩٦ أن «الولايات المتحدة تريد إقامة علاقات طيبة مع الطالبان ولكنها لا تستطيع أن تعلن تأييدها لهم، فى حين يقومون بقمع المرأة وحرمانها من حقوقها».

وكأن قضية الولايات المتحدة تتمثل فى الدفاع عن حقوق المرأة الأفغانية وحمايتها من القمع، لأنها بلد نذر نفسه للقيام بدور منقذ البشرية المعذبة، فى حين أن هذه كلها أقنعة براقة مزيفة لإخفاء أهدافها الحقيقية التى تتمثل فى المقام الأول فى إنشاء الخط العملاق لأنابيب البترول، وهى على أتم استعداد للتحالف مع الشيطان نفسه، إذا كان مفيدًا فى إقامة مشروعاتها التى تعود عليها بأرباح فلكية، وتعتبر جماعة الطالبان تلميذة فى المدرسة النفعية أو البراجماتية الأمريكية، والتى تعد أقوى تنظيمًا مما يشاع عنها. فقد استعانت بخدمات موظفة أمريكية فى العلاقات العامة تدعى ليلى هيلمز، وهى ابنة أخت ريتشارد هيلمز المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية. وفى ١٧ أكتوبر ١٩٩٦، نشرت صحيفة «فرانكفورتر رونشاو» الألمانية، أن شركة يونوكال حصلت على الموافقة من المسيطرين الجدد على السلطة فى كابول لإنشاء خط أنابيب بترول يمتد من تركمنستان عبر أفغانستان إلى باكستان». وكان هذا انتصارًا حقيقيًا سواء ليونوكال أو بقية أعضاء العصابة الرأسمالية، المرشحين الآخرين لإنشاء خطوط الأنابيب، ومن بينهم شركة شيفرون التى عملت فيها كونداليزا رايس قبل أن يختارها جورج بوش الابن مستشارة للأمن القومى.

والتعامل مع الشيطان سمة أساسية فى السياسة الأمريكية فى كل المجالات وفى مقدمتها المجالات الاقتصادية والإعلام والاجتماع. ففى مجال الإعلام كانت الطالبان معروفة بجرائمها الخطيرة ضد الإنسانية، ورغم ذلك فإن صحيفة «وول ستريت جورنال» المتحدثة بلسان الشركات العملاقة عابرة الجنسيات وأساطير رأس المال، عندما شمت رائحة المشروع المربح الضخم، كتبت بلا أى خجل أوتردد تقول: «سواء شئنا أم رفضنا، فإن الطالبان هى القادرة على تحقيق السلام فى أفغانستان فى هذه اللحظة من التاريخ». وسرعان ما قفزت صحيفة «نيويورك تايمز» فى ٢٦ مايو ١٩٩٧ على مركبة خط الأنابيب لتمتطيها قائلة: «إن حكومة كلينتون أخذت بالرأى القائل بأن انتصار الطالبان سوف يصبح قوة موازنة لإيران، ويفتح الباب أمام سبل جديدة للتجارة يمكن أن يضعف نفوذ روسيا وإيران فى المنطقة».

هكذا يعزف الإعلام الأمريكى الألحان نفسها التى تقودها الإدارة الأمريكية، مثلما يحدث تمامًا فى الدول الشمولية والديكتاتورية. لكن حتى هذه الشمولية الإعلامية لم تنجح لأن الحراك السياسى العالمى ليس رهن إشارة الإدارة الأمريكية

التى اضطرت إلى الانحياز للموقف الروسى، لأنها اكتشفت بحلول عام ١٩٩٩ أن الطالبان لا يمكن أن توفر لها الأمن الذى تحتاجه لحماية خطوط الأنابيب الأمريكية المعرضة للأخطار، فى حين أدى ظهور أسامة بن لادن على المسرح كمقاتل فى سبيل الله إلى تغيير الموقف. وترتب على ذلك إنشاء تحالفات جديدة، بل تبنت إدارة بوش فكرة غزو أفغانستان. وكتب فردريك ستار رئيس «معهد آسيا الوسطى بجامعة جونز هوبكنز» فى صحيفة «واشنطن بوست» فى ١٩ ديسمبر ٢٠٠٠، يقول: «لقد بدأت الولايات بهدوء فى الوقوف إلى جانب المطالبين فى الحكومة الروسية بالقيام بعمل عسكرى ضد أفغانستان، وأنها تناقش فكرة شن غارة جديدة للقضاء على بن لادن».

ويرى ڤيدال فى أساليب الإدارة الأمريكية فى توظيف شبح أسامة بن لادن لأغراضها الخفية، والعلنية، مادة خصبة للسخرية، التى تكشف إلى أى مدى يستهين الساسة بالعقل الأمريكى، الذى قد تنطلى عليه حيلهم لانشغاله بالاهتمامات الشخصية فى حياتهم اليومية، يقول ڤيدال:

«رغم أننا قمنا بدعاية كبيرة للأخذ بالثأر من ذلك المتعصب الدينى السادى المجنون الذى قتل ثلاثة آلاف مواطن أمريكى، فإنه لم تكد تلك «الحرب» تبدأ حتى هبط الاهتمام بأسامة بن لادن،وعدنا إلى الاهتمام بخط أنابيب يونوكال الذى أصبح مشروعًا قابلاً للتنفيذ. وعلى ضوء ما عرف بعد ذلك، يرجح أن العصبة الحاكمة لم تكن لتسعى للقبض على أسامة حيًّا، لأن لديه حكايات. وقد أصبح من أفضل النمر التى لعبها وزيرالدفاع دونالد رامسفيلد،تلك التى تمثلت فى تساؤلات تضاعف من بلبلة العقول وحيرتها فى كل ما يتصل بأسامة بن لادن مثل: «أين هو؟ فى مكان ما؟ هنا؟ هناك؟ فى مكان ما؟ من يدرى؟ وليس لديه سوى هذه التساؤلات كأنه آخرمن يعلم. ومن الواضح أنه كان يتبادل كرة أسامة بن لادن مع فريق اللاعبين الإعلاميين الذين تظاهروا بقبولهم هذه القصة الشاذة القائلة بأنه إذا كان أسامة حيًّا فلابد أن يكون باقيا فى أفغانستان، فى انتظار القبض عليه، بدلاً من أن يكون مقيمًا فى قصر مريح فى جاكرتا المتعاطفة معه، والتى تقع على مسافة ٢٠٠٠ ميل إلى الشرق، ويسهل الوصول إليها بالبساط السحرى الطائر رقم ١».

وينتقل ڤيدال من زمن ألف ليلة وبساطها السحرى إلى زمن الحرب العالمية الثانية، فيستشهد بتعليقات المحللين المخضرمين، التى رصدت مدى التشابه بين ما كان يقوله هتلر وما تقوله العصبة الأمريكية الحاكمة وهى تهدد أولاً إحدى الدول، ثم تهدد الأخرى لأنها تؤوى الإرهابيين. صحيح أن هتلر كان من الدهاء الذى جعله يتظاهر بأنه الطرف المعتدى عليه، أو المعرض للاعتداء،قبل أن يضرب ضربته طبقًا

للاستراتيجية التى وضعها مع وزير دعايته جوبلز. كان دهاء ساسة وليس دهاء فتـوات يعلنون بدون مبرر أن الآخريـن يهددونهم ولذلك يتحتم ضـربهم أولاً، فلا تزال عقلية فتوات رعاة البقر تتحكم فى سلوك الساسة الأمريكيين الذين يرون فى قوتهم المادية والعسكرية سبباً كافيًا لضرب الآخرين، فالقوة عندهم فوق الحق لأنهم يعتقدون أن الحق يجب أن يكون أمريكيًا أولاً وأخيرًا.

وقد تواصلت عمليات غسل المخ الأمريكي، ولكن ليست بأستاذية هتلر وجوبلز اللذين حولا الشعب الألمانى إلى طاقة هادرة مدمرة رهن إشارتهما. فمنذ أول أغسطس ٢٠٠٢، كانت بالونات الاختبار تنطلق فى كل مكان فوق واشنطن حتى يعتاد الرأى العام العالمى فكرة أن«بوش أفغانستان» كسب انتصارًا شبيهًا بانتصار أبيه «بوش الخليج العربى»، وأن بوش الابن يتلهف لأن يضيف إلى أمجاده العراق وبابل، ولكن هذه البالونات سقطت على أوروبا والعالم كأثقال من رصاص، تمهيدًا لإدخال العالم فى كوابيس لا يعرف متى يستيقظ منها. وكتبت صحيفة «إنترناشونال هيرالد تريبيون» فى أول أغسطس ٢٠٠٢: «لقد بدأ تسريب الأنباء فى ٥ يوليو، عندما وصفت «نيويورك تايمز» خطة مؤقتة للبنتاجون، يقال إنها جاهزة للغزو، وتشارك فيها قوة أمريكية تصل إلى ٢٥٠ ألف جندى، تقوم بمهاجمة العراق من الشمال والجنوب والغرب». وكان تسريب الأنباء متعمدًا ليمهد لما جرى بعد ذلك، ولكنه كان تسريبًا غبيًا لأنه حمل فى طياته رفضًا شبه عام من الشعب الأمريكى، وخاصة فئة الشباب منه.

ويؤكد فيدال أن رئيس أية دولة يجد عنده من القوة ما يجعله يبادر إلى استخدام الحرب كسلاح لتحقيق أغراضه، هو من ألد أعداء الحرية. إن الحرب هى الغاية التى تنشأ من أجلها الجيوش، وتفتح الباب على مصراعيه للاستدانة وفرض الضرائب، وغير ذلك من الإجراءات الكفيلة بإخضاع الكثيرين لسيطرة القلة . وعندما تندلع الحرب، تتسع السلطات الاستثنائية للأجهزة التنفيذية والبيروقراطية،وتضاف كل وسائل التأثير على العقول إلى إجراءات إخضاع قوة الشعب وثروته، بحيث تصبح الأولوية للمجهود الحربى، وبالفعل حدث تحول كبير بعد ١١ سبتمبر، عندما أدت «سيطرة القلة» إلى التزام الكونجرس وأجهزة الإعلام الصمت، فى حين انطلقت السلطة التنفيذية لتبسط نفوذها على كل الإجراءات، عن طريق البروباجندا واستطلاعات الرأى الموجهة، للتأثير على العقل الجمعى من خلال مراكز لم تخطر ببال أحد من قبل مثل وزارة الأمن الداخلى، وهى وزارة استحدثت لتضاف إلى وزارة الدفاع ومكتب الأبحاث الفيدرالى ووكالة المخابرات المركزية. كما وجهت الدعوة إلى ٤٪ من السكان للانضمام إلى هيئة TIPS، وهى شبكة من الجواسيس المدنيين هدفها

الإبلاغ عن أى شخص يبدو مريبًا، أو يعترض على ما تفعله السلطة التنفيذية فى الداخل أو الخارج؛ أى أن الدولة الأمريكية وضعت خطة لتحويل المواطنين إلى جواسيس على بعضهم البعض، مثل أية دول فاشية أو شمولية أو ديكتاتورية.

ويوضح فيدال أنه يفترض فى كل دولة تمتلك الوسائل والإدارة، أنها تعرف كيف تحمى نفسها من العصابات، من النوع الذى جلب الولايات المتحدة أحداث ١١ سبتمبر؛ إذ إن الحرب ليست خيارًا مطروحًا أمام الحكومات لكى تشنها على كل من هدب ودب. فالحرب تشنها الدول على الدول التى تهاجمها أو تهددها،ولا تشنها على عصابات لا جذور ولا مواقع محددة لها . وإذا تعرضت الحكومات لحرب عصابات، فإنها لابد من أن تقابلها بحرب عصابات مضادة،وفى مقدمتها أن تحدد ثمنًا لرؤوس أعضائها وتتعقبهم حيثما كانوا. والحكومة الإيطالية لها خبرة ثمينة فى هذا الشأن مع أعضاء عصابات ألمافيا الصقليين؛ لأنها تعلمت أنه لا يفل الحديد إلا الحديد ، فقد شكلت بدورها عصابات من المأجورين والمرتزقة المحترفين، الذين يجيدون كل خطط العصابات وحيلها ومعاركها ، ورغم سلسلة هذه المعارك وحلقاتها التى تخبو وتندلع بين الحين والآخر، فإن أحدًا من القادة أو الساسة لم يقترح استخدام الطائرات فى قصف باليرمو معقل المافيا.

لكن يبدو أن لعصابة تشينى – بوش توجهًا مختلفًا، فإنها تريد حربًا للسيطرة على أفغانستان كدولة، وإنشاء خط للأنابيب، والتحكم فى الجمهوريات السوفيتية السابقة فى آسيا الوسطى، والمعروفة بالستانات: تركمانستان، وأوزبكستان، وطاجيكسان، وقرغيزستان، وكلها لها أهمية بالغة من وجهة نظر الأمن والثروة النفطية، لصالح شركاء العصابة الأمريكية فى دنيا الأعمال، وكذلك لإنزال أكبر قدرمن الدمار بالعراق وإيران بدعوى أنهما فى مقدمة دول محور الشر. وقد نجحت الخطة فى العراق نظرًا للغباء المطبق على عقل صدام حسين وبالتالى بطانته، ولكن لم تنجح فى إيران لأنها استفادت من درس العراق، واستبدلت الغباء العراقى بالدهاء والخبث والمراوغة والتكتل المذهبى واللعب على كل الحبال.

وكانت التبعية المهنية والمفضوحة التى مارستها أجهزة الإعلام مع الإدارة الأمريكية نظرًا لأن المصالح الرأسمالية مشتركة بين كل المؤسسات الأمريكية، قد أظهرتها على حقيقتها التى تحاول إخفاءها دائمًا وراء قناع مزيف من الحرية والشفافية والقدرة على المعارضة والتصدى، مما جعلها تزداد هانًا وتخبطًا وتشنجًا؛ فمثلاً حدث على شبكة CNN أن معلقًا ومحللاً ذكيًا ولامعًا مثل جيم كلانسي فقد أعصابه، عندما حاول أحد الأكاديميين الهنود أن يذكر أن العراق كان فى يوم من الأيام حليفًا وصديقًا

للولايات المتحدة، عندما كان يحارب ضد عدوها الشيطانى إيران ، عندئذ قال كلانسي بنبر حادة: «لا مكان هنا لهذا الحديث عن المؤامرة». فقد بلغ الإعلام الأمريكى درجة من الضعف والتهافت فى التعليق والتحليل، لدرجة أن التذرع بحديث المؤامرة أصبح الطريق المختصر لطمس الحقيقة، التى لا يريد أحد أن يتحدث عنها.

وإذا كانت الولايات المتحدة قد استغلت الغباء والجمود والتحجر الذى سيطر على العراق فكرًا وسلوكًا فى ضربه وتدميره ، فإن الغباء الرأسمالى الأمريكى أدخل الولايات المتحدة فى نفق مظلم مشابه، وإن كانت طاقاتها وقدراتها قد مكنتها من تحمله مدة أطول. فلم يكن الميزان الاقتصادى فى صالح الولايات المتحدة حتى قبل غزو العراق فى مارس ٢٠٠٣، فمنذ أغسطس ٢٠٠٢، كان هناك توافق متزايد على الأقل بين رجال الاقتصاد على ثغرات الضعف التى اخترقت الاقتصاد الأمريكى بسبب الدين الوطنى الهائل لدرجة أن الحكومة صارت تقترض مليارين من الدولارات كل يوم لتتمكن من أداء أعمالها العادية، وبسبب النقص الشديد فى الوعاء الضريبى، الذى أقدمت عليه العصابة الحاكمة لصالح الواحد فى المائة الذين يملكون الجانب الأكبر من الثروة الوطنية. وهذا يعنى أنه لم يكن هناك سبيل للحصول على المليارات اللازمة لتدمير العراق فى حزب طويلة الأمد أو حتى حرب قصيرة المدى، وخاصة أن معظم دول أوروبا اتخذت موقفًا معارضًا للولايات المتحدة، وقد دفعت ألمانيا واليابان بعض تكاليف حرب الخليج على كره منهما، وتشاجرت اليابان مع أمريكا فى آخر لحظة حول سعر الصرف فى وقت التعاقد.

لكن كبار الرأسماليين يتمتعون بصفاقة منقطعة النظير خاصة فى موقفهم من الحرب، أى حرب، لأنها الذريعة التى لا يمكن التصدى لها، والمفتاح السحرى للخزينة الأمريكية التى تتدفق أموالها على كل الشركات والمؤسسات والمصانع، التى تمد الحكومة باحتياجات الحرب، مهما كان النقص الذى تعانى منه، والذى يمكن إجبار دافعى الضرائب على سده فى الوقت المناسب. ولذلك لم تنجح أغلبية دول العالم التى عارضت الحرب على العراق، فى أن تدفع حمرة الخجل إلى وجوه أعضاء عصبة بوش، إذ إن بوش الكبير ينتمى إلى مجموعة شركات كارلايل، وارتبط بوش الصغير بشركة هاركين، وتشينى بشركة هاليبرتون،وكونداليزا رايس بشركة شيفرون، ورامسفيلد بشركة أوكسيدنتال. وإذا كان من المفروض على أية إدارة أمريكية أن تنأى بنفسها عن المسائل المتعلقة بالطاقة، فإن إدارة بوش الابن لا تشبه أية إدارة أمريكية سابقة، إذ إن قلوب أعضائها متجهة بصراحة فى إتجاه آخر، وهو كسب المال والمزيد

من المال بلا حدود. ولا يبقى للشعب الأمريكى منهم سوى رؤوسهم التى تحلم بالحرب، ويستحسن أن تكون حربًا ضد الدول الهامشية الضعيفة، ولكنها تتمتع بثروات طبيعية هائلة مثل البترول أو مواقع استراتيجية حساسة.

وسوف يذكر التاريخ لإدارة بوش الابن كارثتين كانتا أهم ما ميز عهده وهما: كارثة الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وكارثة غزو العراق ٢٠٠٣. إن كل الشكوك والتساؤلات المريبة التى تحيط بالكارثتين، تؤكد مع الأيام أن ما جرى فيهما كان من الخفاء والغموض والمراوغة بحيث يستحيل دراسته وتحليله، كما يفعل المؤرخون فى تعاملهم مع الأحداث المصيرية. إنها أحداث هلامية تشبه ما يرد فى أشد الكوابيس وطأة، وعندما تصدى لها كبار المعلقين ورجال المخابرات والمحللين والدارسين،لم يستطيعوا جميعًا أن يتخطوا حدود التخمينات والتكهنات، التى قد يبدو بعضها معقولاً لكن تظل الأدلة والبراهين ضائعة فى زوايا الغيب. فمثلاً يستشهد فيدال بمحمد حسنين هيكل الذي يصفه بالصحفى المصرى اللامع والمحلل الدقيق للأحداث، حين أدلى بحديث فى ١٠ أكتوبر ٢٠٠١ لصحيفة «الجارديان» البريطانية قائلاً:

«إن بن لادن لا يملك القدرة اللازمة لعملية بهذا الحجم. وعندما أسمع بوش يتكلم عن القاعدة كأنها هى ألمانيا النازية أو الحزب الشيوعى السوفييتي، فإنى أضحك لأنى أعرف حقيقة الأمر. فقد كان بن لادن موضوعًا تحت المراقبة على امتداد سنوات،وكانت كل مكالماته التليفونية مرصودة ، وكانت القاعدة مخترقة من جانب المخابرات المصرية. وما كانت القاعدة لتستطيع أن تحافظ على سرية عملية، تحتاج إلى هذا القدر من التنظيم والدقة».

وكان إيكهارت فرتباخ الرئيس السابق للمخابرات الألمانية الداخلية قد صرح لوكالة الأنباء الأمريكية فى ٤ ديسمبر ٢٠٠١ بأن هجمات ٩/١١ كانت تحتاج إلى سنوات من التخطيط، ويدل حجمها على أنها كانت نتيجة لمخططات وإجراءات نظمتها دول على أعلى مستوى، ولعل بوش الابن كان على حق فى نهاية الأمر عندما وصفها بأنها حرب. ويفسر فيدال حدوث هذه الحرب بأنها من أهم وسائل «أمريكا الشركات» كما يسميها، لأنها تمكنها من الازدهار الاقتصادى والرواج التجارى؛ خاصة إذا وقعت على شكل هجوم خارجى كاسح، يتيح لها أن تدخل فى حرب فى أى وقت، يرى فيه الرئيس أن ذلك ملائم.

ويعود فيدال إلى الماضى ليتتبع جذور الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، وبالتحديد فى عام ١٩٧٩، عندما أجريت أكبرعملية سرية فى تاريخ وكالة المخابرات المركزية، رداً على الغزو السوفييتى لأفغانستان. وقد كتب أحمد راشد المتخصص فى

شئون آسيا الوسطى فى مجلة «فورين آفيرز» عدد نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٩، إنه بتشجيع قوى من المخابرات الأمريكية والمخابرات الباكستانية، اللتين كانتا تريدان تحويل الجهاد الأفغانى إلى حرب عالمية، تشنها كل الدول الإسلامية على الاتحاد السوفييتي، انضم ما يقرب من ٣٥ ألف من المسلمين المتطرفين من ٤٠ بلدًا إسلاميًا، إلى المقاتلين فى أفغانستان فى الفترة من ١٩٨٢ و ١٩٩٢. كان هناك أكثر من مائة ألف من المسلمين الراديكاليين الأجانب تحت التأثير المباشر للجهاد الأفغانى، وكانت وكالة المخابرات المركزية تدرب هؤلاء المقاتلين سراً وترعى شئونهم.

وفى مارس ١٩٨٥، أصدر الرئيس ريجان التوجيه رقم ١٦٦ بشأن الأمن القومى الذى تضمن زيادة المعونة العسكرية. وفى الوقت نفسه، التقى خبراء وكالة المخابرات الباكستانية بالقرب من روالبندى فى باكستان، وكان المدربون أساسًا من المخابرات الباكستانية، الذين تعلموا حرفتهم من رجال الكوماندوز الأمريكيين ورجال البحرية فى مؤسسات أمريكية مختلفة للتدريب. وفى أثناء الوجود فى باكستان، كان يجرى تدريب المتعصبين الأفغان على نطاق واسع على يد الجيش الباكستانى، تحت إشراف جهاز الخدمات الخاصة. وفى عام ١٩٨٨، وبعلم الولايات المتحدة، أنشأ أسامة بن لادن منظمة «القاعدة»، وهى تجمع لخلايا إرهابية شبه مستقلة، منتشرة عبر حوالى ٢٦ دولة، وكانت واشنطن تعرف كل التفاصيل، لكنها كانت تغمض عينيها عن الموضوع برمته. وهذا يعنى أن أكبر كارثتين وقعتا فى الفترة الأخيرة فى التاريخ الأمريكى كانتا من صنع الولايات المتحدة، سواء بطريقة غير مباشرة مثل الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، أوبطريقة مباشرة مثل غزو العراق، لكن تداعياتها لن تتوقف، إلا بعد أن تدفع الولايات المتحدة فاتورة الحساب كاملة،فهذه كلها حتميات لا مفر منها.